

الحروق في القرآن الكريم

الأستاذ الدكتور محمد العطيبي

أستاذ الجراحة العامة و التجميل جامعة أسيوط

اللون الطبيعي ليصبح أبيض بدون دموية أو حيوية وربما أسود اللون، وهذا يحدث في حروق الدرجة الثالثة، وهي الأكثر عمقا.

و احد الفروق بين حروق الدرجة الثانية و الدرجة الثالثة هو اختبار نزع الشعر في منطقة الحرق حيث يظل الشعر مثبتا بالجلد في حروق الدرجة و يصحب محاولة نزعها ألم شديد كما هو معتاد.

أما في حروق الدرجة الثالثة فتتم عملية نزع الشعر بسهولة و بدون ألم لوصول الحرق إلى منطقة بصيالات الشعر. وقد جاءت هذه المعلومة في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَظَنُّ (١٥) نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى﴾

المعارج: ١٥ - ١٦

فالشوى هي فروة الرأس

أسباب الحروق

و عندما نحاول سرد أسباب الحروق التي كتبت في كتب الطب نجد أنها إما

احتوى القرآن الكريم على آيات عديدة تتعلق بالحروق على وجه من وجوه الدلالة. فبعض الآيات يمكن أن يكون لها تعلق بدرجات الحروق، و بعضها يمكن أن يكون له تعلق بأسباب الحروق، كما يمكن أن يكون للبعض الآخر تعلق بأمثل الطرق للإسعافات الأولية لهذه الحروق.

درجات الحروق

يعتمد عمق الحروق في أغلب الأحيان على درجة حرارة المؤثر و وقت التعرض له. و لا يخفى على أحد شكل الحرق الذي ينتج عن النار أو الأشياء أو السوائل الساخنة، فهو إما مجرد إحمرار للجلد في الدرجة الأولى من الحرق أو فقايع مائية تنفجر و ينسلخ سطح الجلد ويصبح مبللا بالسوائل التي تفقد من الجلد باستمرار و هذه صفة حروق الدرجة الثانية، أو يجف الجلد ليصبح مثل الشمع ويفقد الإحساس و

خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿الرعد: ١٣﴾

إن أصعب الجروح هي الحرق وأصعب الحروق هي الحروق الكهربائية. وقد جاء هذا المعنى أيضا في القرآن الكريم في سورة الطور. ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الطور: ٤٥ - ٤٧

أي مما لا شك فيه أن الله سبحانه وتعالى يعذب العصاة من عباده بدرجات متفاوتة كل حسب جرمه.

أما درجات الحرارة المنخفضة جدا فقد ذكرت في القرآن حيث كلمة صر هي البرد الشديد.

﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ آل عمران: ١١٧

و الكل يعرف ﴿قُلْنَا يَا نُوحُ إِنَّا جَاءْنَاكَ بِرَأْسِكَ عَلَى إِيْزِهِمِ﴾ الأنبياء: ٦٩ فلو كانت بردا فقط لأضرت به.

عوامل طبيعية أو كيميائية ولا شيء غير ذلك. أما العوامل الطبيعية فهي إلى وقتنا هذا لم تعد الشحنات الكهربائية وتشمل أيضا الإشاعات بأنواعها. والصعقة الكهربائية تؤدي إلى حروق تسمى حروقا كهربائية. ثم تنتج حروق عن درجات الحرارة القصوى من كالا الاتجاهين المنخفضة جدا ثم المرتفعة جدا، وتنقسم الأخيرة إلى ثلاثة أنواع: حروق نارية و هي تمثل معظم أسباب الحروق التي نقابلها ثم الحروق السلقية أو التي تحدث من سوائل ساخنة أو مغلية وترتفع نسبة حدوثها في الأطفال ثم الحروق باللمس مثل المكواة.

بقي السبب الأخير ألا وهو الحروق التي تنتج من مواد كيميائية حارقة مثل القلويات الكاوية و الأحماض الحارقة وبعض العناصر مثل الفسفور و خلافه. وعندما نقرأ كتاب الله الكريم بعين العالم و عقل المفكر و قلب المؤمن نجد أن كل هذه الأسباب قد ذكرت في القرآن.

و لنبدأ كما ذكرنا بالترتيب بالحروق الكهربائية نسبة حدوثها 3.2 % فقد ذكرت في سورة الرعد بكلمة الصواعق ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُ مِنْ

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْاْ أَنفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ التحريم: ٦.

درجة انصار الحجارة تزيد عن الألف درجة مئوية ووجود الناس مع الحجارة في أتون واحد يشير إلى شدة العذاب .

في أكثر من مقام يشير الله سبحانه وتعالى إلى أشد العذاب وهو عذاب الحريق، وأن النار أعدت للكافرين وهذا يؤكد مقولتنا السابقة أن أشد الجروح هي الحروق. وقد جاء ذلك في سورة آل عمران.

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ آل عمران: ١٨١.

ثم سورة الأنفال ﴿وَلَوْ نَرَىٰ إِذِ يَتَوَقَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَصْرِيخُونَ مِنْهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ الأنفال: ٥٠.

ثم سورة الحج في أكثر من مكان ﴿ثَانِي عَطْفِهِ لِيُصِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ الحج: ٩.

و مما هو مؤكد أن درجات الحرارة المنخفضة جدا تؤدي إلى حرق الأنسجة التي تتعرض لها، ولكن يختلف هنا شكل الحرق عن الحروق النارية بدرجاتها فهذه الإصابة تترك الجزء المصاب بنفس الشكل الطبيعي و لكنه يفقد الحيوية الوظيفة والقدرة على الحركة و التكاثر إلى أن يضمحل تدريجيا، وقد جاء هذا واضحا في قوله تعالى في سورة الحاقة: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَقْبَلَكُمَا بَرِيحٌ صَرْصَرٌ عَلَيْهِ ﴿٦﴾ سَخَرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَزُوا بِخَلْقٍ خَاسٍ﴾ الحاقة: ٦ - ٧.

الحروق النارية

ثم تأتي درجات الحرارة المرتفعة بأنواعها وهي تمثل حوالي 95% من أسباب الحروق و أولها و أكثرها شيوعا الحروق النارية. ولا يمكن سرد كل الآيات التي ذكر فيها هذا النوع من الحروق لكثرتها ولكن سوف نسرد فقط بعض الآيات التي يتضح منها عمق القرآن ودقته.

﴿إِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ البقرة: ٢٤.

ثم جاء نفس المعنى في سورة التحريم:

ولهذا اختص الله به الكافرين من عباده.
فقال تعالى في سورة النساء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَثَابَتُنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ النساء: ٥٦.

وهذه الآية تؤكد مرة أخرى على عمق الحروق من نار جهنم، و لكن قدرة الله عز وجل كانت جليلة في تجديد جلودهم ليدوقوا العذاب.

وهذا تصوير دقيق لدرجات الحروق. فالدرجات السطحية التي تؤثر على طبقة البشرة و الجزء السطحي من أدمة الجلد تؤدي إلى كشف الأطراف الحسية للجو الخارجي وبذلك يزداد الإحساس بالألم و لكن عندما تأتي النار على كل طبقات الجلد (أي النضوج) هنا تموت الأطراف الحسية ويقل الإحساس بالألم. ومعنى الآية استمرار الحرق مع تبديل الجلد المحروق بجلد يوجد به الإحساس المستمر ليستمع العذاب والإحساس بالألم.

وفي الحروق السليقة

قوله تعالى ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا

﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ الحج: ٢٢.

و مما هو معروف لدينا أنه إذا أردت تسخين قطعة من الحديد مثلاً فعليك أت تضعها في أسفل النار و ليس في اللهب الأصفر العلوي. وُضح هذا في قوله تعالى في سورة النساء: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ النساء: ١٤٥.

و هذا معناه مرة أخرى أن العذاب درجات و أن النفاق من الصفات السيئة التي تؤدي بصاحبها إلى درجة أعلى من العذاب لصفات سيئة أخرى.

يصيب الحرق اول ما يصيب جلد الإنسان المليء بالأعصاب الحسية التي تحمي الجسم من أي مؤثر خارجي قد يضر بالإنسان، فيتنبه و يبتعد عن المؤثر. بمجرد وصول هذا الإحساس إلى مراكز هذه الأطراف و الدليل على ذلك عند أخذ حقنة مثلاً إحساس الإنسان بالألم عند إدخال الإبرة في الجلد ثم يختفي أو يضعف هذا الإحساس كلما دخلت الإبرة في الطبقات الداخلية بعد الجلد، و من هذا يتضح أن عذاب الحريق أشد عذاب،

الجهة ليظهر التشوه أمام الناس كما أشاحوا بوجوههم عن الفقراء، والإحساس بالألم في الجنب أشد من مناطق أخرى بالجسم لأنهم لم يشعروا بحاجة الفقراء، والإحساس بالألم في الظهر كناية عن صعوبة الدفاع عن النفس في هذا المكان لأنهم لم يدفعوا حاجات الفقراء والبائسين. (و الله ورسوله أعلم).

الحروق الكيماوية

والسبب الأخير هو الحروق الكيماوية.

فقال تعالى في سورة إبراهيم ﴿سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ وَفَجَّوْهُمْ نَارًا﴾ إبراهيم: ٥٠

وتظهر هنا مرة أخرى دقة التعبير وبلاغة المعنى إذا علمت أن القطران مادة كيميائية عندما يكون ساخنًا يلتصق بالجسم بحيث تصعب إزالته، وقد يؤدي الاستعجال في محاولة إزالته إلى ضرر أكثر من الضرر الذي يصيب الإنسان من القطران الساخن نفسه. وكلمة سراويلهم معناها ملابس ضيقة تلتصق بالجسم.

ثم نسرده الآن بعض الآيات التي تصف بعض أنواع من الحروق بدقة: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَعُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْلُنَا نَرُدُّ وَلَا نُكَذِّبُ يَتَابِتْ

بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ الكهف: ٢٩.

﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَبِّهِمَا فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقَ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ الحج: ١٩.

ومعظم الحروق السليقة تصيب الأطفال في مناطق (الوجه الرقبة والكتفين)، حيث تؤدي به غريزة حب الاستطلاع إلى محاولة أخذ ما فوق الموقد المشتعل لرؤية ما به، فينسكب ما بالإناء على الوجه والكتف واليد التي أمسكت بالإناء.

حروق اللمس

أما حروق اللمس فجاءت في سورة التوبة في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَجْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفقونها فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُوهُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ التوبة: ٣٤ - ٣٥.

رَبَّنَا وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ الأنعام: ٢٧.

و تصور هذه الآية دراسة دقيقة للنفس البشرية التي تعرف عملية الثواب و العقاب جيدا ولكن غواية الشيطان تحسن له في الخطأ فيتمادى فيه ولا ينتبه إلا بعد فوات الأوان.

وقد يحدث هذا في الدنيا أيضا فقد يقرر الإنسان ضعيف الإيمان التخلص من حياته بالانتحار حرقا (وهو حرام شرعا) و يأخذ القرار بقوة واندفاع شديدين، ثم بعدها يشعر بألم الحرق يجري مندفعاً نحو أقرب مكان يجد فيه من ينقذه أو يطفئ ناره المشتعلة مع أن الجري يزيد النار اشتعالاً و تشتد الخطورة و يصعب العلاج.

حروق الرئتين و الاستنشاق

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقَوْا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ هود: ١٠٦.

فقد اكتشف العلم الحديث منذ حوالي عشرين سنة تقريبا خطورة حروق الرئتين و التي تحدث من اشتعال النار في أماكن مغلقة، و عندئذ يستنشق الإنسان الأبخرة الساخنة التي تصيب الرئتين بحروق خطيرة قد تؤدي إلى الوفاة حتى لو لم يكن الحرق الخارجي متسعا وخطيرا. وهذه الحروق تحتاج إلى رعاية مركزية

أثناء العلاج و جهاز تنفس صناعي إلى أن تتحسن الحالة. وقد سبق الزفير الشهيق لتأكيد العقاب و عدم الهرب منه، حيث إنه بعد الزفير الشديد لا يستطيع الإنسان إلا أن يشهق أي هواء موجود في الجو المحيط به لاحتياجه الشديد لهذا الهواء، فإذا كان الجو المحيط هو النار فهو عندئذ مضطر إلى استنشاق الأبخرة الساخنة التي تصيب الرئتين بالحروق الشديدة في عملية الشهيق الإجبارية التي تعقب الزفير.

تبدأ الدورة الطبيعية للتنفس بالشهيق وتنتهي بالزفير، و تنعكس الدورة في حالات الضغوط الشديدة و الحرق من أهم هذه الضغوط.

مضاعفات الحروق

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ فاطر: ٣٦.

ألم الحرق من الشدة بمكان قد يصيب الإنسان بصدمة عصبية فيموت أو شدة الحرق أيضا تفقد الإنسان حياته.

فنسبة الوفيات من الحروق الجسمية التي تزيد عن 40% من سطح الجسم عالية جدا وهذه الآية من سورة فاطر أكبر

قَالُوا إِنْ أَلَّفَ اللَّهُ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١٠٣﴾
الأعراف: ٥٠.

و عندما نتأمل في وظيفة الجلد نجد أن من أهمها الحماية مثلاً ضد فقدان سوائل الجسم و أول شيء يشكو منه المصاب بالحرق هو الألم الذي يجف بصب الماء ثم بعد ذلك يشكو من ظاهرة العطش والمقصود بكلمة مما رزقكم الله هي المأكول والمشرب حيث يحتاج مصاب الحروق إلى كميات من الغذاء و السوائل أكبر بكثير من احتياج الإنسان العادي لفقد كميات كبيرة من خلال الجلد المحروق.

وقبل أن أختتم حديثي أحب أن اطمئن القارئ المؤمن الذي يخشى الله سبحانه وتعالى بآية من سورة آل عمران: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْفَيْكَةِ فَمَن زُحِجَ عَنِ النَّكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾ آل عمران: ١٨٥.

و هذا يدل مرة أخرى على أن النار هي أهم وأول وسيلة عقاب للكافرين في الآخرة بسبب كفرهم وأن أكبر جائزة للمؤمنين هي بعده عن النار و أن يدخل الجنة.

و في النهاية هي معلومات عامة عن

دليل على ذلك ثم قال تعالى في سورة المؤمنون: ﴿وَمَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ ﴿١١٢﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١١٣﴾ المؤمنون: ١٠٣-١٠٤.

و كل من يرى حروقا عميقة بالوجه وآثارها يعرف معنى كلمة كالخون (الشفاه مشوهة و التصقت بالذقن) و هذا كثيرا ما نراه حيث إننا نعالج هذه الحالات بإجراء عمليات ترقيع لهم، مع العلم أن هذه الحالة لا تحدث إلا بسبب الحرق.

دأب الناس قديماً على استعمال أشياء توضح على الحرق لتسكين الألم و كلها خطأ و تؤدي إلى الضرر و منها الزيت و البيض و معجون الأسنان و أحيانا الكيروسين. وبدأ العلماء حديثا في محاولة لمنع الناس من استعمال هذه المواد الضارة أو على الأقل التي لا فائدة منها.

و ينصح العلم الحديث بأن أحسن شيء يوضع على الحرق لتخفيف الألم الشديد هو الماء الجاري. و قد ذكر الله تعالى هذا بوضوح شديد في سورة الأعراف ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنِ افْضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ

تَحْمِلُنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِٓ وَأَعْفُ عَنَّا وَأَعْفِرْ
لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ ﴿البقرة: ٢٨٦﴾

الحروق قد ذكرها الله في كتابه العزيز
ولكننا للأسف الشديد تعلمناها من الكتب
الدنيوية الحديثة و لم نستطع اكتشافها من
كتابنا و دستورنا الذي بين أيدينا منذ أكثر
من أربعة عشر قرناً من الزمان وكان من
الأولى بنا ذلك، ولهذا أحب أختم حديثي
بقوله تعالى في آخر سورة البقرة: ﴿لَا
يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا
أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا
كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا

